



هكذا قال الرئيس المرحوم علي عزت بيجو فيتش:

ليس هذا ما كُنا نطمح إليه، لكنه أفضل من خيار استمرار الحرب بهذه الصورة، لم تتبَّع قضيتنا أي دولة بجدية، ولم يقف معنا إلا القليل، ووقفه وقفه الخجول، وحياء الخوف يقطر من جبينه، فوقفات الإغاثة والإعانة في المأكل والمشرب - على أهميتها- لا ننكرها، بل نزيد في شكرها، لكننا خرجنا بثورة كرامة لا ثورة جياع، نحن أردنا الحديد الذي يُلِّين لنا رؤوس الطفاة، ونلجم به أسطوانة الغلاة، خسارتـنا للكثير من المدن والقرى نتيجة طبيعية لنقص السلاح، وقلة العتاد، وقلة الدعم اللوجستي، والتدريب الذي لم يعد يتناسب من مرحلة الثورة الأولى، خاصة عندما قُضيـنا في مواجهة دول تسـانـدـ النظام؛ كروسـياـ، وإـرانـ، وجـوـقةـ المـليـشـياتـ.

فقدـيمـ الـكـلاـشـينـكـوفـ بـزـمـنـ الطـائـراتـ، وـمـنـ وـصـولـ المـضـادـاتـ الجـوـيـةـ؛ جـريـمةـ عـلـىـ كـلـ مـنـ اـدـخـرـ جـهـاـ وـلـمـ يـسـعـ لـوـصـولـهاـ لـنـاـ.

لقد رضينا بعدم تكافـفـ السـلاحـ بيـنـاـ وـبـيـنـ عـدـونـاـ، وـهـذـاـ حـالـنـاـ مـنـذـ فـجـرـ التـارـيخـ، نـحـنـ لـمـ نـمـلـكـ حـتـىـ تـلـكـ السـيـوـفـ المـشـحـونـةـ التي دافـعـ بـهـاـ الرـعـيلـ الـأـوـلـ، نـعـمـ اـنـتـظـرـنـاـ الـكـثـيرـ، وـصـدـقـنـاـ الـوعـودـ، وـتـأـمـلـنـاـ بـكـثـيرـ مـنـ الدـوـلـ خـيـرـاـ. نـحـنـ أـرـدـنـاـ أـنـ يـقـفـ بـصـفـنـاـ مـنـ يـقـنـعـ بـمـشـرـوـعـنـاـ، وـيـمـدـ لـنـاـ يـدـ الـعـونـ، وـالـتـيـ سـنـعـتـرـهـاـ دـيـنـاـ فـيـ أـعـنـاقـنـاـ لـرـدـهـاـ وـقـتـ اـنـتـهـاءـ أـوـارـ

الحرب المشتعلة.

عذراً أحبتي..

بعد خمس سنوات من الحرب فقدنا الكثير من الدماء الطاهرة، وُدُّمرت الكثير من البنى التحتية، وضاع جيلٌ في المخيمات، وغادر آخر نحو بلاد الغرب طالباً الحياة الكريمة، كما يراها ذاك المسكين، الذي قطع البحار، وجاب السهول؛ ليصل إلى بلدٍ تُحترم ذاته، وتُقدر شهادته، وبهأ بلقة غير مُغمضة بدم أحد.

قد تكون قدمنا نموذجاً فاشلاً في إدارة المناطق المحررة، ولم نتمكن من تأمين أننى مستلزمات الشعب من أمن وغذاء، ولا ننكر ظروف الحرب، وضعف الإمكانيات، وقلة الموارد، لكن ضعف المبادرة أفقدتنا عدة أوراق قوة؛ فمثلاً العصر الذهبي للثورة كان عام ٢٠١٣م، وقتها كان الأمر متاحاً لنا،

وأبوج لكم بسر احتفظت به طويلاً، وهو أن النهضة الفكرية جاءت بعد عام ٢٠١٢م، وتبلورت الصورة، واتضح حجم الوهم، وعرفنا قدر أنفسنا بداية عام ٢٠١٤م، بداية قتال داعش علينا كم أضمننا من فرص، وزدنا من معاناة الشعب بإطالة أمد الحرب، بعد إدراك الحقيقة ولِي زمن الدعم المادي، وكأن عذاباتنا تزداد، وتنافر المال مع الفكر وقتها ولم يجتمعا.

والغريب الذي أدهش قلمي هو عدم اتفاق مجلس الفصائل الإسلامية على محكمة شرعية واحدة علياً للثورة لإدارة الخلاف بين العسكريين والمدنيين، رغم سعيهم لنفس الهدف، فهم اجتمعوا في فكرة الانطلاق، وتصورهم ل نهاية المطاف، واحد لكن فرقهم الأسلوب والوسيلة.

فوجدنا محكمة لكل فصيل كانت بمثابة محامي دفاع عنه، علماً أننا لم نعهد في أي عهد سالف أن استُخدمت المحاكم مطية وسيفاً على رقاب شعب قاسي ألوان العذاب، أتعينا ذاك الشعب الذي ابكيت عيناه من الحزن وهو كظيم، والذي أردنا الاتكاء عليه للنهوض بمشاريع أقل ما يقال عنها إنها مشاريع فئوية حزبية، تمثل ٥٪ من عموم الثورة فقط.

في ظل التطورات الحالية من فرض الهدن، والحلول السياسية، على الثوار الإفادة من السبات الشتوي، والإسراع إلى الاجتماع، وتوحيد الموقف العسكري والسياسي، وأرى أن يكون تشاركياً فقط؛ بعد فشل سلسلة الاندماجات السابقة، فالعدو يقاتلنا مجتمعاً على اختلافه، ونحن نواجهه على فرقه من أمرنا على ما عندنا من قواسم مشتركة.

وللمثال نذكر فييتنام التي حاربت 20 سنة متواصلة (1955 – 1975) إمبراطوريتين، وانتصرت عليهما؛ فرنسا وأمريكا، لعلها اختصرت ثورتها بثلاثة قادة فقط؛ هم:

١- هو شي مينه: قائد روحي.

٢- جنرال جياب: قائد عسكري.

٣- لي داك تو: قائد سياسي.

لم يكن عندهم ألف فصيل، ولا ألفاً قائد، ولا عدة مشاريع...

بكث الديار وغارث الأحداث...

في كل مرحلة من تاريخ أمة من الأمم تسقط في سمائها نجوم تهدي الحائرين، وقد تضيء سماءها حتى لكانها في رابعة النهار؛ إذا كثروا واشتد وهجهم، فامتد مخترقاً الزمان والمكان، كأشبه ما يكون بالطاقة المتجددة التي لا تنفد.

صحيح أننا فقدنا قادات الثورة الأوائل؛ كالحموي، وزهران، والصالح، رحمهم الله، وبفقدتهم خسربنا أوتاداً كانت تذَّبذَّ عنا، وبنراساً كنا نهدي به في الظلمات ولحج الفتنة، وفقدنا معهم قلوبهم الكبيرة التي كانت تتسع لشكوانا وتنمرنا.

شعور الْيُتُم حاصل بعدهم عند كل ثائر، بل زاد بعدهم زمن التيه، فدتكم نفسي، فالثورة تعاهدكم أن تسير على أخدود فكر الشيخ الحموي، الذي رسمه بدمه على جذع الثورة، وقوه وشكيمه الشيخ زهران، وطيبة وبساطة الشيخ عبد القادر الصالح،

رُزِقْتُ مُلْكًا فَلَمْ أَحْسِنْ سِيَاسَتَهُ
وَكُلُّ مَنْ لَا يَسُوسُ الْمُلْكَ يَخْلُعُهُ
وَمَنْ غَدَا لَابِسًا ثَوْبَ النَّعِيمِ بِلَا
شَكْرٍ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزَعُهُ
عِلْمًا بِأَنَّ إِصْطِبَارِي مُعَقِّبٌ فَرَجَأً
فَأَضَيقُ الْأَمْرِ إِنْ فَكَرْتَ أَوْسَعَهُ

قبل أن أنهى أرد على سؤال ثائر هرم، يتساءل فيه عن جدوى وإمكانية فرض حلول على الثورة، وتقرير مستقبلاها دون الرجوع لأهل الأرض؟
أقول: من لم يصدر حلاً لأزمته سيضطر لاستيراده مكرهاً..
كقول أم أبي عبد الله الصغير، آخر ملوك الطوائف، عندما قالت له: إبك مثل النساء ملكا مصاعدا لم تحافظ عليه مثل الرجال.

مركز عزام للدراسات

المصادر: